@ 571 @ الأبصار) ^ أي : ألم تشاهد ببصرك ، عظيم قدرة ا ، وكيف ^ (يزجى) ^ ، أي : يسوق ^ (سحابا) ^ قطعا متفرقة ^ (ثم يؤلف) ^ بين تلك القطع ، فيجعله سحابا متراكما ، مثل الجبال . ^ (فترى الودق) ^ أي : الوابل والمطر ، يخرج من خلال السحابة ، نقطا متفرقة ، ليحصل بها الانتفاع ، من دون ضرر ، فتمتلىء بذلك ، الغدران ، وتتدفق الخلجان ، وتسيل الأودية ، وتنبت الأرض من كل زوج كريم ، وتارة ينزل ا من ذلك السحاب ، بردا يتلف ما يصيبه . ^ (فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عن من يشاء) ^ أي : بحسب اقتضاء حكمه القدري ، وحكمته التي يحمد عليها . ^ (يكاد سنا برقه) ^ أي : يكاد ضوء برق ذلك السحاب ، من شدته ^ (يذهب بالأبصار) ^ ، أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين ، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر ، كامل القدرة ، نافذ المشيئة ، واسع الرحمة ؟ ^ (يقلب ا الليل والنهار) ^ من حر إلى برد ، ومن برد إلى حر ، ومن ليل إلى نهار ، ومن نهار إلى ليل ، ويديل الأيام بين عباده . ^ (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) ^ أي : لذوي البصائر ، والعقول النافذة للأمور المطلوبة منها ، كما تنفذ الأبصار إلى الأمور المشاهدة الحسية . فالبصير ، ينظر إلى هذه المخلوقات نظر اعتبار وتفكير ، وتدبر لما أريد بها ومنها ، والمعرض الجاهل ، نظره إليها نظر غفلة ، بمنزلة نظر البهائم . ^ (وا خلق كل دآبة من مآء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق ا ما يشآء إن ا على كل شيء قدير) ^ ينبه عباده على ما يشاهدونه ، أنه خلق جميع الدواب ، التي على وجه الأرض ، ^ (من ماء) ^ أي : مادتها كلها ، الماء ، كما قال تعالى : ^ (وجعلنا من الماء كل شيء حي) ^ . فالحيوانات التي تتوالد ، مادتها ، ماء النطفة ، حين يلقح الذكر الأنثى . والحيوانات التي تتولد من الأرض ، لا تتولد إلا من الرطوبات المائية ، كالحشرات لا يوجد منها شيء ، يتولد من غير ماء أبدا . فالمادة واحدة ، ولكن الخلقة مختلفة ، من وجوه كثيرة ، ^ (فمنهم من يمشي على بطنه) ^ كالحية ونحوها ، ^ (ومنهم من يمشي على رجلين) ^ كالآدميين ، وكثير من الطيور ، ^ (ومنهم من يمشي على أربع) ^ كبهيمة الأنعام ونحوها . فاختلافها مع أن الأصل واحد يدل على نفود مشيئة ا ، وعموم قدرته ، ولهذا قال : ^ (يخلق ا ما يشاء) ^ أي : من المخلوقات ، على ما يشاؤه من الصفات . ^ (إن ا على كل شيء قدير) ^ كما أنزل المطر على الأرض ، وهو لقاح واحد ، والأم واحدة ، وهي الأرض ، والأولاد مختلفو الأصناف والأوصاف ^ (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها

على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ^ . ^ (لقد أنزلنآ آيات مبينات وا يهدي من يشآء إلى صراط مستقيم) ^ أي : لقد رحمنا عبادنا ، وأنزلنا إليهم آيات بينات ، أي : واضحات الدلالة ، على جميع المقاصد الشرعية ، والآداب المحمودة ، والمعارف الرشيدة . فاتضحت بذلك السبيل ، وتبين الرشد من الغي ، والهدى من الضلال ، فلم يبق أدنى شبهة لمبطل ، يتعلق بها ، ولا أدنى إشكال ، لمريد الصواب ، لأنها تنزيل من كمل علمه ، وكملت رحمته ، وكمل بيانه ، فليس بعد بيانه بيان (ليهلك) بعد ذلك (من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة) . ^ (وا يهدي من يشاء) ^ ممن سبقت لهم سابقة الحسنى ، وقدم الصدق . ^ (إلى صراط مستقيم) ^ أي : طريق واضح مختصر ، موصل إليه ، وإلى دار كرامته ، متضمن العلم بالحق وإيثاره ، والعمل به . عمم البيان التام لجميع الخلق ، وخصص بالهداية من يشاء ، فهذا فضله وإحسانه ، وما فضل الكريم بممنون وذاك عدله ، وقطع الحجة للمحتج وا أعلم حيث يجعل مع مواقع إحسانه . ^ (ويقولون آمنا با وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ومآ أول ئك بالمؤمنين * وإذا دعوا إلى ا ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون * وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين * أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف ا عليهم ورسوله بل أول ئك هم الظالمون) ^ يخبر تعالى عن حالة الظالمين ، ممن في قلبه مرض وضعف إيمان ، أو نفاق ، وريب ، وضعف علم ، أنهم يقولون بألسنتهم ، ويلتزمون الإيمان با والطاعة ، ثم لا يقومون بما قالوا ، ويتولى فريق منهم عن الطاعة ، توليا عظيما ، بدليل قوله : ^ (وهم معرضون) ^ فإن المتولي ، قد يكون له نية عود ورجوع إلى ما تولى عنه . وهذا المتولي ، معرض ، لا التفات له ، ولا نظر لما تولى عنه ، وتجد هذه الحالة مطابقة لحال كثير ممن يدعي الإيمان والطاعة وهو ضعيف الإيمان . وتجده لا يقوم بكثير من العبادات ، خصوصا : العبادات ، التي تشق على كثير من النفوس ، كالزكاة ، والنفقات الواجبة والمستحبة ، والجهاد في سبيل ا ونحو ذلك . ^ (وإذا دعوا إلى ا ورسوله ليحكم بينهم) ^ أي : إذا صار بينهم ، وبين أحد ،